مجلة التربية للعلوم الانسانية

مجلة علمية فصلية محكّمة، تصدر عن كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة الموصل

الصراع الأسري للموحدين على السلطة (541-668هـ/1147-1269م)

جمعة فرج محمد [1]

جامعة نينوى/كلية القانون / الموصل – العراق [1]

معلومات الارشفة

تاريخ الاستلام : 2025/9/3

تاريخ المراجعة : 2025/9/29

تاريخ القبول : 2025/10/20

تاريخ النشر : 2026/3/1

الكلمات المفتاحية :

الموحدون، عبد المؤمن، مراكش، البيعة، الصراعات

معلومات الاتصال

جمعة فرج

Dr.jumaah.faraj@uoninevah.edu.iq

الملخص

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل الصراع الأسري على السلطة داخل الدولة الموحدية، باعتباره عاملاً محوريًا أدى إلى إضعافها ثم انهيارها، يُسلِّط البحث الضوء على غياب آلية واضحة لانتقال الخلافة، مما فتح الباب أمام التنافس الدامي بين الأمراء، كما يوضح كيف أدت تدخلات القادة العسكريين وأشياخ الموحدين، فضلًا عن التحالفات الخطيرة مع القوى الخارجية، إلى استنزاف موارد الدولة وتقويض استقرارها، ويخلص البحث إلى أن هذا الصراع الداخلي لم يكن مجرد حوادث معزولة، بل كان سببًا بنيويًا مباشرًا في السقوط النهائي للدولة

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Journal of Education for Humanities

A peer-reviewed quarterly scientific journal issued by College of Education for Humanities / University of Mosul

The family conflict of the almohads over power. (541-668 AH/1147-1269 AD)

jumaah Faraj Mohammed [1]
University of Nineveh/College of Law / Mosul - Iraq [1]

Article information

Received : 3/9/2025
Revised 29/9/2025
Accepted : 20/10/2025
Published 1/3/2026

Keywords:
Almohads, Abd al-Mu'min, Marrakesh, Allegiance, Bay'ah, Conflicts

Correspondence:
jumaah Faraj
Dr.jumaah.faraj@uoninevah.edu.iq

Abstract

This research investigates the internal dynastic conflict over power within the Almohad Caliphate, identifying it as a central factor that led to its weakening and eventual collapse. The study highlights the absence of a clear succession mechanism, which fueled deadly rivalries among princes. It further illustrates how the interference of military leaders and tribal sheikhs, coupled with perilous alliances with external forces, drained the state's resources and undermined its stability. The research concludes that this internal strife was not merely a series of isolated incidents but a direct structural cause of the Almohad state's final demise

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

المقدمة

شهدت الدولة الموحدية، منذ نشأتها في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، سلسلة من التحولات السياسية والعسكرية والدينية التي جعلتها واحدة من أعظم الدول الإسلامية في الغرب الإسلامي، غير أن هذه الدولة، التي قامت على دعوة دينية إصلاحية وزعامة قوية ومؤثرة متمثلة في شخصية المهدي ابن تومرت، لم تلبث أن دخلت مرحلة من التراجع والاضطراب نتيجةً لصراعات داخلية عميقة، كان أبرزها الصراع الأسري على السلطة.

وقد ساهم هـذا الصراع بين أفراد البيت الموحدي الحاكم فـي تقويض الاستقرار السياسي للدولة، وأسفر عن موجات من التمردات والاغتيالات والانقسامات، مما عكس هشاشة النظام السياسي وفقدانه للشرعية الدينية التي أُسِّسَت عليها الدولة في بادئ الأمر، ومن خلال تتبع هذه الصراعات، يتبين أن الطابع الشخصي والعائلي غلب على القرارات السياسية في المراحل الأخيرة من عمر الدولة، مما عجَّل بانهيارها أمام القوى المسيحية المتربصة من جهة، والثورات المحلية المتصاعدة من جهة أخرى.

يهدف هذا البحث إلى دراسة مظاهر الصراع الأسري في الدولة الموحدية، والكشف عن أسبابه السياسية والدينية والاجتماعية، من خلال تحليل التنافس بين الخلفاء والأمراء من آل عبد المؤمن بن علي الكومي، وتفكيك مسارات التمرد والاغتيال التي طالت عددًا من أفراد الأسرة الحاكمة، كما يسعى البحث إلى ربط هذه الصراعات بسياقها التاريخي الأوسع، لفهم مدى تأثيرها في سقوط الدولة وتفككها.

اعتمد البحث على منهج تاريخي تحليلي قائم على دراسة المصادر التاريخية الأصلية، مثل كتب المؤرخين المعاصرين للدولة الموحدية، بالإضافة إلى دراسات حديثة تناولت التاريخ السياسي للدولة الموحدية وحلَّلت بنيتها الحاكمة.

وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة نقاط، الاولى: تطرقت: إلى الصراعات التي شهدتها مرحلة تأسيس الدولة الموحدية، في حين خُصِّصت النقطة الثانية: لبحث الصراعات الأسرية في عهد قوة الدولة، ولا سيما خلال خلافة أبي يعقوب يوسف وخلافة أبي يوسف يعقوب المنصور، أمَّا النقطة الثالثة: فقد عالجت الصراع الأسري للموحدين في عصر الفوضى والانهيار، منذ هزيمتهم في موقعة العقاب (٦٠٩هـ/١٢١٢م) وحتى سقوط دولتهم سنة (٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، ثم خُتِمَت الدراسة بخاتمة تُوجِز أهم النتائج.

اولاً: الصراعات الأُسَرية في بدايات الدولة الموحدية: فترة التأسيس.

لقد كانت المراحل الأولى من تأسيس الدولة الموحدية مشحونةً بصراعات عميقة ومتجذرة داخل الأسرة الحاكمة، والتي كانت تعكس في جوهرها صراعاً على السلطة ونزاعاً على الشرعية، فبعد أن استقر حكم عبد المؤمن بن علي الكومي (487–558هـ/1094–1162م) هو أبو محمد بن علي بن مخلوف الكومي، التقى بالمهدي بن تومرت الزعيم الروحي للموحدين، وأصبح قائداً للجيش، ولما توفي ابن تومرت سنة (524هـ/1129م)

(البيذق، 1971م، صفحة 34) (ابن خلكان، د.ت، صفحة 237) (الزركلي، 2002، صفحة 170)، بويع لخلافته في ربوع المغرب والأندلس، باعتباره أول الخلفاء الفعليين للدولة الموحدية، اتخذ خطوة مركزية لتكريس حكمه من خلال توزيع المناصب السلطوية بين أبنائه، حيث أسند ولاية فاس إلى ابنه أبي الحسن، وتُعد حاضرة المغرب الكبرى، وهما مدينتان مقترنتان يشق بينهما نهراً كبير يسمى وادي فاس، ويدور عليها سور عظيم (الحميري، 1980م، صفحة 434)، وولاية تلمسان إلى أبي حفص، وتقع بالمغرب الأوسط، اختطها المرابطون،

فـيها آثار تدل على أنها كانت دار ملك للأمم السالفة (البغدادي، 1992م، صفحة 272)، وولّى أبا سعيد على مدينـة سـبتة وهي مدينة على ضـفة البحر فـي المغرب، تقابل الجزيرة الخضـراء فـي الأندلس (القزويني، د.ت، صفحة 533) (مجهول، د.ت، صفحة 137)، وأوكل الإمارة فـي بجاية إلى أبي محمد عبد الله (ابـن الاثير، 1992م، صفحة 231) (المراكشي، 2006م، صفحة 165) (السلاوي، د.ت، صفحة 123)، وهي مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، وبها دار لصناعة السفن (الحموي، 1995م، صفحة 339) (الحميري، 1980م، صفحة 80).

لقد جسّد هـذا التوزيع الإداري انسحاباً واضحاً عـن نموذج الحكم الطبقي الذي أرسته الدعوة الموحدية فـي عهد مؤسسها ابـن تومرت، والذي كان يقوم على التفاعل الجماعي والمشترك بين قبائل متعددة، وما لبث هـذا التغيير أن أثار سخطاً واسعاً فـي صفوف القبائل التي كانت العمود الفقري لدولة الموحدين، حيث شعرت هذه القبائل بالتهميش والإقصاء، مما أدى إلى تزايد حدة التوترات والاحتقانات الاجتماعية والسياسية (المراكشي، 2006م، صفحة 141)

(ابـن خلدون، 1989م، صفحة 316) (السلاوي، د.ت، صفحة 124) (الصلابي، 2009م، صفحة 132).

ولم يلبث هـذا الغضب أن اتخذ أبعاداً أكثر خطورةً حين أُعلن عـن ولاية العهد لابـن عبد المؤمـن الأكبر، أبي عبد الله محمد، وهو القرار الذي قوبل بمعارضة شديدة مـن قبل مجموعة مـن رجال الدعوة الأوائل الذين كانوا يرون فـي أنفسهم أصحاب الشرعية الأحق بالخلافة، وأصبح هـذا الخلاف صراعاً مفتوحاً، إذ شهدت مدينة مراكش سنة (548هـ/1153م) وهي مدينة بالمغرب الأقصى، اختطها المرابطون(454هـ/1062م)، واتخذوها دار إمارة (الإدريسي، 1989م، صفحة 234) (الحموي، 1995م، صفحة 94). اضطرابات كبيرة تمثلت فـي تمرد قاده اثنان مـن أشقاء المهدي ابـن تومرت، وهما عيسى وعبد العزيز، اللذان كانا ينتميان إلى البيت الشريف، واعتبرَا أنفسهما الأحق بالخلافة بعد الراحل، مستندَين إلى نسبهما وآل البيت المعصوم، وتمتع الأخوان بـنفوذ قوي بين أتباع الدعوة الذين انقسموا فـي ولائهم (المراكشي، 2006م، صفحة 213) (ابـن خلدون، 1989م، صفحة 316) (ابـن أبي زرع، 1972م، صفحة 195) (السلاوي، د.ت، صفحة 124) ، "كَانَ عبد الْعَزِيز وَعِيسَى أخوي الْمهْدي مـن مشيخة الْعَسْكَر ووجوه الْجَيْش بإشبيلية أَيَّام فتحهَا ووفادة أَهلهَا على عبد الْمُؤمن بمراكش" (السلاوي، د.ت، صفحة 124) ورغم أن عبد المؤمـن نجح فـي إخماد الثورة وإعدام زعمائها، "فقُتلوا وصُلبوا بأعلى جذع، وقُتل عيسى قرب باب الدباغين، وعبد العزيز بباب أغمات" (ابـن عذاري المراكشي، 1985م، صفحة 51) ، غير أن دوامة الاضطراب والاحتقان السياسي لم تهدأ، بل اشتدت حتى بلغت ذروتها بمحاولة اغتيال جريئة استهدفته في تونس وهو في طريق عودته من حملته العسكرية

عليها، سنة(555هـ/1160م) (المراكشي، 2006م، صفحة 171)، وتقع علـــى ساحل بحر الروم في المغرب، وهي حاضرة إفريقية، ومقر مملكتها (الحميري، 1980م، صفحة 143).

تؤكد هذه الأحداث أن بدايات الدولة الموحدية لم تكن مجرد تأسيس سياسي عادي، بل كانت مرحلة مـــن الصراعات الحادة بين إرادات متضاربة، بين موروث قبلي يحاول الحفاظ على مكانته، وبين طموحات مركزية تسعى إلى توحيد السلطة فـــي قبضة واحدة، مما شكّل أرضية معقدة لأحداث وصراعات عميقة تركت أثرها على مجرى التاريخ الموحدي.

كما أقدم عبد المؤمـــن بـــن علي على خطوة سياسية حاسمة كان لها أثر بالغ فـــي إشعال الصراع الداخلي بين أفراد أسرته، وهي خلع ابـنه الأكبر أبي عبد الله محمد عـن ولاية العهد بدعوى سوء سيرته وسلوكه (ابـــن الاثير، 1992م، صفحة 299) (المراكشي، 2006م، صفحة 173) (عـــنان، 1990م، صفحة 394) (الصـــلابي، 2009م، صـفحة 140)، "لطيشـه، وَشُـرْبِه الخَمْر، فَخلع بَعْد شَـهْر وَنِصْـف، وَبُوْيِع أَبُو يَعْقُوْبَ" (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 2006، صفحة 317).

وقد مثَّل هذا القرار نقطة تحول في مسار الدولة الموحدية، إذ ألغى العرف السياسي القائم على انتقال الخلافة إلى الابـــــن الأكبر وفق نظام ولاية العهد، وهو النظام الذي كان يُعَدُّ الضـمانَ الأخلاقي والسـياسـي لاستقرار السلطة، وفتح الباب على مصراعيه أمام تنافس أبـــناء عبد المؤمـــن وأحفاده على هرم القيادة، حيث تحولت الخلافة إلى مجال مفتوح لصراع القوى والمناورات السياسية بدلًا من الانتقال السلمي للسلطة، ومع مرور الوقت، أصبح هذا القرار سببًا رئيسيًا في تأجيج الصراع الأسري، إذ وجد فيه الطامحون إلى الحكم حجةً لتجاوز التراتبية الأسرية والمطالبة بالخلافة، وقد انعكست هذه التداعيات على الدولة الموحدية فـــي صورة اضطرابات متكررة وضعفٍ فـي تماسك السلطة المركزية، الأمر الذي ساهم فـي إضعاف هيبتها وتهيئة الظروف لانحدارها التدريجي في العقود اللاحقة.

ثانيًا- الصراع الأُسَري في عصر القوة:

1- خلافة أبي يعقوب يوسف (٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٣-١١٨٤م)

تولى أبو يعقوب يوسف الخلافة سنة (558هـ/1163م) عقب وفاة والده عبد المؤمـن بـن علي، فـي مرحلة مفصلية من تاريخ الدولة الموحدية، إذ كانت أركانها قد ترسخت في المغرب والأندلس، غير أن الاستقرار الداخلي ظل هشاً بسبب تنافس أبـناء عبد المؤمـن على السلطة، وقد أشرف على تنظيم مراسم البيعة أخوه السيد أبو حفص عمر، مدعوماً بالشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي، كبير أشياخ الموحدين، لما كان له من تأثير روحي وسياسي كبير فـــي صفوف الحركة الموحدية (ابـــن صاحب الصلاة، 1998م، صفحة 163) (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 1993، صفحة 318)؛ (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 208) (ارسلان، 1983م، صفحة 47)

وتشير بعض الروايات التاريخية إلى أن هذه البيعة لم تكن وليدة توافق طبيعي بين أبناء عبد المؤمن، بل جاءت نتيجة مؤامرة نسج خيوطها الشقيقان أبو يعقوب يوسف وأبو حفص عمر، سعياً لإقصاء أخيهما غير الشقيق محمد، الذي كان عبد المؤمن قد ولاه العهد في حياته ثم تراجع عن ذلك، ويكشف هذا الحدث عن بداية الصراع الأسري الحاد داخل البيت الموحدي، حيث أضحى انتقال السلطة محكوماً بالمؤامرات والدسائس بدل الالتزام بمبدأ ولاية العهد الذي يُفترض أن يؤسس لاستقرار الدولة (المراكشي، 2006م، صفحة 173) (ابن خلكان، د.ت، صفحة 134) (عنان، 1990م، صفحة 394) (الصلابي، 2009م، صفحة 141)

لقد حرص أبو حفص عمر منذ توليه الوزارة في عهد أبيه على إحكام سيطرته على شؤون الدولة، وتمكن من بناء كتلة من الموحدين ترتبط مصالحها به بشكل مباشر، وهو ما سهّل عليه تدبير خلع أخيه محمد وتنصيب شقيقه يوسف مكانه دون مقاومة واسعة داخل العاصمة، غير أن هذا التغيير لم يلق قبولاً لدى جميع أبناء عبد المؤمن، كما تحفظ بعض أشياخ الموحدين على البيعة لما رأوا فيها إقصاءً للابن الأكبر، مما أظهر بداية تصدع في البيت الموحدي، والذي ستتفاقم آثاره في المراحل اللاحقة من تاريخ الدولة (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 208) (الصلابي، 2009م، صفحة 141)

ومن أبناء عبد المؤمن الذين كانوا يطمعون في الخلافة، أبو الحسن علي الذي كان حاضراً ليلة وفاة والده وعقد البيعة لأخيه، لكنه آثر العزلة، فأطبقت عليه ظلمات الغيرة، وسرى في عروقه سم الحقد، حتى نحل جسده واعتل بدنه، فلم يلبث أن أسلم روحه في أواخر سنة (558هـ/1163م) (ابن صاحب الصلاة، 1998م، صفحة 170) (ابن عذاري المراكشي، 1985، الصفحات 84-85) (عنان، 1990م، صفحة 13) وكذلك أبو محمد عبد الله، والي بجاية، الذي رفض في البداية مبايعة أبي يعقوب يوسف، وآثر التريث ولزم عاصمة إمارته، مكتفياً بمراسلة الخليفة ومبادلته رسائل الاستعطاف والاستدعاء من جهة، ورسائل الاعتذار والتسويف من جهة أخرى، واستمر هذا التردد ما يقرب من عام ونصف قبل أن يخضع للأمر الواقع، كما تخلّف عن البيعة أبو سعيد والي قرطبة، وكان تخلّفه مثار توجس وتداولٍ لمختلف الأقوال، إذ إنه كان يتولى رئاسة الأندلس، وهي الشطر الثاني من الإمبراطورية الموحدية، بما يمتلكه من موارد وقوى، الأمر الذي جعله موضع ريبة، لاحتمال أن تُحدّثه نفسه بالخروج والعصيان، ولهذا بعث إليه أخوه الخليفة ثلاثةً من حَفَظَة الموحدين لاستدعائه، وهم: أبو يحيى بن أبي حفص، وأبو عبد الله بن أبي إبراهيم، وأبو الربيع سليمان بن داود (ابن صاحب الصلاة، 1998م، صفحة 170) (ابن عذاري المراكشي، 1985م، الصفحات 84-85) (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 208) (عنان، 1990م، صفحة 13).

ولما وصل الوفد إلى قرطبة، تمارض أبو سعيد، فلم يتمكنوا من مقابلته إلا بعد جهدٍ ومشقة، ولم يحصلوا منه سوى وعودٍ غامضة، ثم عاد الوفد إلى مراكش دون أن يتحقق شيء من وعوده بالقدوم، فاشتد التوجس والارتجاف من موقفه، وعندئذٍ عزم أبو حفص عمر على أن يسير بنفسه لاستدعاء أخيه ولقائه في جبل الفتح (جبل طارق)، فغادر مراكش في ربيع الأول سنة (560هـ/1165م) مصحوبًا بجماعة من أشياخ

الموحدين، ومعهم عدد من زعماء ثوار الأندلس، فضلًا عن جماعة من لمتونة وغيرها من القبائل، ولما وصل الركب إلى مدينة سلا، تقدم الجنود للعبور إلى الأندلس، وأقام بها أبو حفص شهرًا، بعث خلاله رسالة إلى أخيه أبي سعيد في قرطبة، يُعلمه بعزيمته على المسير للقائه عند جبل الفتح، فانعقد بينهما الصلح بعد طول خلاف، وعاد الشقيقان إلى حاضرة مراكش في موكب مهيب، حيث غصّت الحاضرة بالأعيان والوجهاء، وارتفعت أصوات التهليل والترحيب، وجُدّدت البيعة في مشهد مهيب لأبي يعقوب يوسف، إيذانًا ببدء صفحة جديدة في سجل الدولة (ابن صاحب الصلاة، 1998م، الصفحات 170–171) (ابن عذاري المراكشي، 1985م، الصفحات 84–85) (عنان، 1990م، صفحة 12) (الصلابي، 2009م، الصفحات 142–143).

وقد أسفر الخلاف الذي نشب بين أبناء عبد المؤمن عن جملة من النتائج السياسية والعسكرية البالغة الأثر، كان أبرزها تأخر مبايعة الخليفة الجديد مدة عامين كاملين، الأمر الذي حرم أبا يعقوب يوسف من أن يتوشح بلقب أمير المؤمنين إلى سنة (560هـ/1165م)، فاضطر إلى الاكتفاء بلقب الأمير، وهو ما عُدَّ إضعافًا لهيبة السلطان ومكانته بين رعيته وحلفائه، كما انعكس هذا الاضطراب على السياسة العسكرية للدولة، إذ توقفت حملات الجهاد، وصدر الأمر إلى الجيوش المرابطة بالعودة إلى مواطنها، وأُلغي المشروع الاستراتيجي الكبير للعبور إلى الضفة الأخرى من البحر، مما أتاح للعدو في الأندلس فرصة لالتقاط أنفاسه وإعادة تنظيم صفوفه ج (ابن صاحب الصلاة، 1998م، الصفحات 170–171) (ابن أبي زرع، 1972م، الصفحات 208–209) (عنان، 1990م، صفحة 12) (الصلابي، 2009م، صفحة 143).

أدى هذا الصراع الأسري المبكر إلى اهتزاز شرعية الخليفة الجديد في نظر بعض فروع الأسرة الموحدية وأشياخ القبائل، وهو ما انعكس على استقرار الدولة سياسيًا وعسكريًا، فقد شكل هذا الانقسام سابقة تاريخية في الدولة الموحدية، إذ أصبح الصراع على العرش سمة متكررة في عهود الخلفاء اللاحقين، وأسهم في إضعاف وحدة الدولة أمام أعدائها في الداخل والخارج.

٢- خلافة أبي يوسف يعقوب بن يوسف: (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م).

تولى أبو يوسف يعقوب المنصور الخلافة بعد وفاة والده يوسف بن عبد المؤمن سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م)، في مرحلة كانت الدولة الموحدية قد بلغت أوج قوتها السياسية والعسكرية، غير أنها كانت تخفي بين جنباتها بوادر صراع أسري داخلي يهدد تماسكها، فقد أدرك المنصور منذ بداية حكمه أن استقرار الدولة لا يمكن أن يتحقق إلا بتثبيت أركان السلطة ومواجهة أي محاولة للانقضاض عليها من الداخل قبل الخارج، لذلك لم يكن متساهلاً مع كل من يعبث بأمن الدولة، حتى لو كان من أقرب الناس إليه (ابن الاثير، 1992م، صفحة 481) (المراكشي، 2006م، صفحة 192) (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 216) (ابو الفداء، د.ت، صفحة 67) (عنان، 1990م، صفحة 141).

وقد تكشّف هـذا التوجه للخليفة بوضوح أثناء عودته مـن غزوه لإفريقية سنة (٥٨٤هـ/١١٨٨م)، إذ اختار أن يسلك طريق تاهرت مسرعاً نحو تلمسان دون توقف أو تريث، وتقع بأقصى المغرب، بين تلمسان وقلعة بني حماد، وهي كثيرة الأنداء والضباب والأمطار (اليعقوبي، 2001م، صفحة 192) (الحموي، 1995م، صفحة 8)، حيث تداخلت الهواجس الأمنية مع التهديدات الأسرية، فقد وصلته خلال إقامته في إفريقية أخبار عن مؤامرات تحاك ضد حكمه، وأن بعض الشخصيات المقربة من البيت الحاكم تتهيأ للتمرد والانقضاض على العرش، مستغلةً ما أفرزته هزيمة معركة عُمرة، سنة (583هـ/1187م) أمام قوات بني غانية، من ضعف في هيبة الدولة أمام أنظار خصومها وداخل أسرتها الحاكمة على حد سواء (ابن عذاري المراكشي، 1985م، صفحة 198) (عنان1، 1990م، صفحة 166).

وكان أبرز هؤلاء المشتبه بولائهم عمه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد المؤمن، الذي اتهمه المنصور بالتشكيك في سياساته والاستخفاف بتصرفاته بين الخاصة، ولا سيما بعد الهزيمة التي مني بها الجيش في معركة عُمرة، وعندما قدم العم للسلام عليه في تلمسان محاولاً إظهار الولاء، إلا أن الخليفة قابله بجفاء شديد وطرده من مجلسه، وهو تصرف يعكس إدراكه لخطورة أي تراخٍ أمام التمرد الأسري، وقد كان أبو إسحاق مريضاً مدة طويلة، فاشتد به المرض بعد هذا اللقاء ولم يلبث أن توفي (ابن عذاري المراكشي، 1985م، صفحة 198) (عنان1، 1990م، صفحة 166).

لم يكن الخطر الذي واجه الدولة الموحدية بعد هزيمة عُمرة مقتصراً على الانتقادات والهمسات في المجالس، بل ظهر ما هو أشد تهديدًا لبنيانها السياسي، فقد كانت تلك المعركة نقطة تحول مأساوية في تاريخ الموحدين، إذ مني الجيش بخسارة جسيمة، وتفرقت صفوفه، وقُتل معظم كبار قادته، حتى بدا وكأن هيبة الدولة التي شيدها المنصور بدأت تتزعزع، ومع هذه الصدمة العسكرية، أخذ بعض أمراء البيت الحاكم يتراءى لهم أن سلطان الخليفة قد أصابه الوهن، وأن الدولة لم تعد بعيدة عن حافة الانهيار (المراكشي، 2006م، صفحة 201) (ابن عذاري المراكشي، 1985م، صفحة 198) (عنان1، 1990م، صفحة 166).

وكان في مقدمة هؤلاء وأكثرهم جرأةً وإقدامًا أخو الخليفة، أبو حفص عمر الملقب بالرشيد، الذي كان واليًا على مرسية وهي من اعمال التدمير في الأندلس، وتكثر فيها المعادن مثل الفضة (الحموي، 1995م، صفحة 107) (البغدادي، 1992م، صفحة 1258). ويملك من القوة والنفوذ ما قد يشجعه على تحدي السلطة المركزية، كما شاركه في النزعة نفسها عمُّ الخليفة، أبو الربيع سليمان، والي تادلا وهي في المغرب الأقصى وتقع بين جبال صنهاجة وهو أحد الأقاليم الاستراتيجية الغنية بالموارد (الحموي، 1995م، صفحة 5) (القلقشندي، 1987م، صفحة 166)، وهذان الرجلان لم يكونا مجرد شخصيتين ثانويتين، بل كانا من أعمدة البيت الموحدي، مما جعل تحركهما السياسي يشكل تهديدًا مباشرًا لكيان الدولة، ويبدو أنهما استشعرا بعد الهزيمة أن اللحظة مواتية لمحاولة الانقضاض على السلطة، مستغلَين حالة الارتباك العسكري والاضطراب

السياسي الذي أعقب تلك الكارثة (المراكشي، 2006م، صفحة 201) (ابن عذاري المراكشي، 1985م، صفحة 198) (عنان1، 1990م، صفحة 166).

أما الأول، وهو الرشيد، فقد كان يمارس في ولايته على مرسية حكمًا قاسيًا اتسم بالبطش والظلم، إذ فرض على الناس سياسة إرهاب حقيقية، خصوصًا التجار وأصحاب الأموال، فقد اعتاد مصادرة أموالهم بالقوة، واستباحة دماء من يعترض على جوره، ومن أبشع أفعاله أنه قبض على ابن رجاء، مشرف مرسية، وألزمه بتقديم قيودات أبواب الجباية كاملة، فلما عجز عن ذلك، أمر بقتله دون تردد، وفرّ عدد كبير من عُمّال الرشيد إلى بلنسية التي تقع شرقي قرطبة، وتكثر فيها الأنهار والأشجار (الحموي، 1995م، صفحة 490)، ومدن أخرى في الأندلس، خوفًا من غدره وبطشه (المراكشي، 2006م، صفحة 202) (ابن عذاري المراكشي، 1985م، الصفحات 198–199) (عنان1، 1990م، صفحة 167).

ومع نكبة عمرة، توسعت أطماع الرشيد، فانصرف إلى التفكير في الاستقلال بمرسية، وربما التوسع على حساب سلطة أخيه، وسعى لعقد تحالفات خارجية مع القوى المسيحية في الأندلس، فأبرم حلفًا سريًا مع ألفونسو الثامن، ملك قشتالة، طمعًا في دعم عسكري يثبت تمرده، غير أن أنباء هذا الحلف لم تلبث أن تسربت إلى الخليفة عن طريق الوفود القادمة من الأندلس، لكن الأحداث قلبت الموازين سريعًا، إذ حقق المنصور نصرًا ساحقًا في معركة الحمة، سنة (583هـ/1187م)، ضد ابن غانية وحلفائه، فانكفأ الرشيد مذعورًا، وأدرك أنه بالغ في تقدير قوته وانغمس في الأوهام، فاختار التعقل والتريث، ومع صدور استدعاء الخليفة له إلى العاصمة مراكش، أسرع بالقدوم معتمدًا على شفاعة الإخوة وعفو المنصور، فتخلص أهل مرسية من بطشه وتنفسوا الصعداء (المراكشي، 2006م، صفحة 202) (ابن عذاري المراكشي، 1985م، صفحة 199) (عنان1، 1990م، صفحة 167)

أما أبو الربيع سليمان، عم الخليفة، فقد عُرف منذ البداية بمعارضته لتولي ابن أخيه الحكم، وامتنع عن بيعته، وعندما اضطربت أوضاع الموحدين في إفريقية، كان يتولى حكم إقليم تادلا القريب من شمال شرق مراكش، وعقب نكبة عمرة، بدأ أبو الربيع مفاوضات مع قبائل صنهاجة المجاورة سعيًا لدعم مشروعه التمردي، غير أن القبائل أبدت تحفظًا على الانخراط في هذه المغامرة السياسية، وفي تلك الأثناء، أرسل الخليفة سرية موحدية بقيادة أبي زكريا يحيى بن أبي حفص، فحاصرت قاعدة تادلا وعزلت أبا الربيع عن أي تحرك عسكري، وأمام هذا المأزق، اضطر أبو الربيع إلى إعلان التوبة والاستسلام، وذهب لملاقاة الخليفة في محله قرب مكناسة والتي تقع الى الشرق من مرّاكش، وهي مدينتان صغيرتان، اختطّ إحداهما يوسف بن تاشفين والأخرى قديمة (الحموي، 1995م، صفحة 181)، حيث تزامن وصوله مع قدوم الرشيد من الأندلس، فأمر الخليفة بإيداعهما رهن الاعتقال في رباط الفتح وهي مدينة بالمغرب الأقصى بناها عبدالمؤمن (ابن سعيد المغربي، 1970م، صفحة 33) بانتظار ما يُتخذ بشأنهما من قرار رسمي (المراكشي، 2006م، صفحة 202) (ابن عذاري المراكشي، 1985م، صفحة 199) (حركات، 2000م، صفحة 275)

بعد أن عاد الخليفة المـــنصور إلى مراكش واستكمل مراســـم الاستقبال، اجتمع مع نائبه أبي الحسن وشـيوخ الموحدين للنظر فـي قضية السيدين المعتقلين، وبعد مراجعة جرائمهما ومحاولاتهما الخيانة، أقروا وجوب إعدامهما شرعًا، فأمر الخليفة بتنفـيذ الحكم فـي رباط الفتح، فقُطعت رأسا الرشـيد وعمه أبي الربيع، وقُتل معهما عدد مـــن أتباعهما الذين ثبت اشـــتراكهم فـــي المؤامرة (المراكشي، 2006م، صفحة 202) (ابـــن عذاري المراكشي، 1985م، الصفحات 198-199) (عـــنان1، 1990م، صفحة 167) (حركات، 2000م، صفحة 275)

وكان أبو يحيى زكريا، شـقيق الخليفة، أحد الطامعين فـي اعتلاء عرش الدولة، فبعد عودة المـنصور مـــن غزوة شلب (585هـ/1189م) التي تقع غرب الاندلس، وتكثر فـــيها المباني والاسواق، حيث اراضيها الخصبة، وتشتهر فـــي الزراعة (الإدريسي، 1989م، صفحة 543) (الحموي، 1995م، صفحة 357)، أصابه مرض شـديد خشي المقربون مـنه أن يودي بحياته، وكان الخليفة قد ولّى أخاه أبا يحيى إمارة الأندلس، غير أن الأخير كان يتباطأ فـي عبور البحر إليها، مترقبًا وفاة أخيه ليظفر بالخلافة، وكان المـنصور فـي أثناء مرضه يلح بالسـؤال: هل عبر أبو يحيى، إدراكًا مـنه لطموحه، فلما بلغ أبا يحيى اسـتعجال الخليفة له، أسـرع بالعبور، غير أنه كان يترقب سماع خبر وفاة أخيه ليعلن نفسـه خليفة للموحدين، بل إنه حاول اسـتمالة أشـياخ الأندلس قائلًا لهم: ما تركت أمير المؤمـــنين إلا وهو هالك اليوم أو غدًا، وليس لها غيري (المراكشي، 2006م، صفحة 205).

وقد أدرك أشـياخ الأندلـس خطورة موقفه وخافوا على أنفسهم، فأرسـلوا إلى الخليفة المـنصور يُطلعونه على مؤامرة أخيه، ولما شُفـي المـنصور مـن مرضه، عبر أبو يحيى البحر قادمًا معتذرًا إلى أخيه، فلقيه بمدينة سـلا، فلما وقع بصر المنصور عليه، قال لمن حوله: هذا الشقي قد جاء، وأمر بالقبض عليه، ووجّه إلى أشياخ الأندلس فحضـروا وأدوا شـهاداتهم، وأمر به فأُحضـر وقال: "إنما أقتلك بقوله (صـلى الله عليه وسـلم): "إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر مـنهما" (القشيري، د.ت، صفحة 774)، وأمر به فضُربت عـنقه، فكُفّن ودُفن، ليبلغ عدد المقتولين ثلاثة مـــن كبار السادة (المراكشي، 2006م، صفحة 205) (ابـــن أبي زرع، 1972م، صفحة 218) (عنان1، 1990م، صفحة 168).

وقد بثّ هـذا الإجراء الدموي الرهبة فـي نفوس قرابة الخليفة المـنصور الذين كانوا فـي صباه يستخفون بأمره أثناء إقامته بالأندلس وإشرافه على إشـــــــبيلية التي تقع غربي قرطبة، وهي قاعدة ملك الروم قبل الفتح، ارضـها زراعية، تقع على النهر العظيم (المـــــنجم، 1987م، صفحة 107) (البكري، 1992م، صفحة 902) (الحموي، 1995م، صفحة 195)، فأعاد هيبة الســـلطان وثبّت أركان الدولة، "وأقبل على القرابة فنال مـــنهم بلسانه وأخذ مـنهم أخذًا شـديدًا، وأمر بإخراجهم على أسـوإ حال، حفاة عراة الرءوس، فخرجوا وكل واحد مـنهم لا يشك أنه مقتول" (المراكشي، 2006م، صفحة 205)

ثالثًا: عصر الفوضى والانهيار:

تولى سدة الخلافة في الدولة الموحدية إبان مرحلة انحلالها عددًا من الأمراء الأحداث، لم يبلغ بعضُهم سنَّ البلوغ، وذلك في ظرفٍ عصيبٍ كانت فيه الدولة في أمسّ الحاجة إلى قائدٍ قويٍّ ينهض بها ويستعيد سلطانها المفقود، غير أنّ هؤلاء الفتيان كانوا يفتقرون إلى الوعي بحقيقة المسؤولية، وإدراك حجم الأخطار المحدقة بدولتهم من الداخل والخارج، مما جعلهم صيدًا سهلًا للمؤامرات الداخلية التي أودت بحياة الكثير منهم، والمكائد الخارجية التي زعزعت أركان سلطانهم، وفوق ذلك، انغمس كثيرٌ منهم في البذخ والتنعم، كما وقع للخليفة الناصر (٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٨-١٢١٣م) بعد هزيمته في وقعة العِقَاب سنة (٦٠٩هـ/١٢١٢م)، أمام قوات النصارى في الأندلس، إذ أسرف في اللهو والمجون، والذي مات مسمومًا، سنة (٦١٠هـ/١٢١٣م) (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 241) (ابن خلدون، 1989م، صفحة 337) (عنان1، 1990م، صفحة 241) (حركات، 2000م، صفحة 286)"ويُذكر أن بعض وزرائه أغروا به من سمَّه لأنهم خافوا منه أن يقتلهم ... جزاءً على قبيح فعلهم" (ابن عذاري المراكشي، 1985م، صفحة 265).

أمَّا الخليفة المستنصر (٦١٠-٦٢٠هـ/١٢١٣-١٢٢٣م)، فقد نال البيعة للخلافة وهو في السادسة عشرة من عمره، "وغلب عليه ابن جامع وشيوخ الموحدين فقاموا بأمره" (ابن خلدون، 1989م، صفحة 337) ، فكان عند توليه أعجز ما يكون عن تدبير شؤون الحكم، وأهمل إدارة الدولة، شأنه شأن والده في أواخر أيامه، وانصرف إلى هواية غريبة، هي جمع الحيوانات وتربيتها، حتى تعرض لحادثٍ مأساويٍّ حين نطحته بقرةٌ شَرودٌ في صدره فمات، سنة (٦٢٠هـ/١٢٢٣م) وهو في ريعان شبابه، دون أن يترك عَقِبًا (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 243) (ابن خلدون، 1989م، صفحة 337) (السلاوي، د.ت، صفحة 228) (عودات، 1989م، صفحة 131)، "ولم يعقّب إلا حملًا من جارية، ولم يخرج من حضرة مراكش طوال خلافته إلى أن توفي، وكانت أوامره لا يمتثل أكثرها لضعفه ولينته وإدمانه على الخلاعة، وركونه إلى اللذات وتفويض أمر مملكته ومهمات أموره إلى السّفَلة" (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 243).

إن فترة حكم هذا الخليفة تمثل مرحلة متقدمة من التدهور السياسي في الدولة الموحدية، حيث اجتمعت فيها عوامل ضعف شخصية الحاكم مع خلل في بنية السلطة المركزية، فاستمرار إقامته في مراكش وعدم خروجه منها ألغى أحد أهم وظائف الخليفة في النموذج الموحدي المبكر، وهو الدور الميداني في قيادة الحملات العسكرية والإشراف المباشر على الأقاليم، هذا الانكفاء المكاني ترافق مع ضعفٍ في الحزم، ما جعل أوامره عُرضةً للتجاهل وعدم التنفيذ، وهو مؤشرٌ على اهتزاز هيبة الدولة أمام القوى المحلية والقيادات العسكرية، كما أن انغماسه في اللهو والترف، وركونه إلى حياة اللذات، أضعف صورته الرمزية كحاكمٍ مسؤولٍ عن مصالح الرعية والدفاع عن الدين والدولة، وهو ما يتناقض مع قيم الزهد والانضباط التي تأسست عليها الدعوة الموحدية، والأخطر من ذلك أنه قوّض مقاليد الحكم ومهام الدولة إلى فئة من السّفَلة الذين افتقروا إلى الكفاءة والشرعية، الأمر الذي فتح الباب واسعًا أمام الفساد الإداري، واستغلال النفوذ، وتفاقم التنافس بين مراكز القوى،

هذه العناصر مجتمعةً جعلت الخلافة الموحدية في هذه المرحلة عاجزةً عن ضبط أطرافها، وفاقدةً لزمام المبادرة السياسية والعسكرية، مما هيأ الظروف الموضوعية لتسارع انهيارها أمام القوى المنافسة في المغرب والأندلس.

اجتمع رأي أشياخ الموحدين، وفي مقدمتهم الوزير أبو سعيد بن جامع، على أن يقدّموا للخلافة أبا محمد عبد الواحد بن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (٦٢٠هـ/١٢٢٣م)، وكان شيخًا قد جاوز الستين من عمره، عاش معظم حياته في هدوءٍ وعزلةٍ بعيدًا عن دهاليز السياسة وصراعاتها، وقد قُدّمت له الخلافة فبويع على كُرهٍ منه، إذ لم يكن ميّالًا إليها، ومع ذلك تمت البيعة في جوٍّ من الوفاق والتفاهم بين الأشياخ، ولم يتخلف أحدٌ من أهل المغرب عن بيعته، كما لم يظهر أي اعتراضٍ على اختياره (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 218) (مجهول1، 1979م، صفحة 162) (عنان1، 1990م، صفحة 350).

ولم يتخذ عبد الواحد لقبًا خلافيا كما جرت عادة أسلافه من الخلفاء الموحدين، إلا أنه عُرف فيما بعد بالمخلوع، لأنه كان أول من نُزع من بني عبد المؤمن عن عرش الخلافة بالقوة، وقد كان من الملفت أن المعارضة لم تبدأ من المغرب، حيث تمت البيعة بسلاسة، وإنما برزت أولى مظاهر الخلاف في الأندلس، إذ لم يمضِ على بيعته في المغرب ومعظم أنحاء الأندلس سوى شهرين، حتى ارتفع أول صوتٍ معارضٍ لها في شرقي الأندلس، وكان ذلك صوت ابن أخيه أبي محمد عبد الله بن يعقوب المنصور والي مُرسِيَة (ابن عذاري المراكشي، 1985م، صفحة 270) (المقري، 1997م، صفحة 384) (الزركشي، 2002م، صفحة 44).

عندما شاع خبر مبايعة الخليفة أبي محمد عبد الواحد في مراكش، سارع الوزير ابن يوجان إلى سيده أبي محمد عبد الله محذرًا إياه من الإذعان لهذه البيعة، ومبيّنًا له أن اعتلاء عبد الواحد للعرش يعد انتهاكًا لحق أعقاب الخليفة يعقوب المنصور، لأن الخلافة قد تحولت إلى فرع آخر، من العائلة الموحدية، وقد وجدت كلمات ابن يوجان صدىً قويًا في نفس أبي محمد عبد الله، فاستثارت همته وعزيمته على منازعة عمه على الحكم (ابن عذاري المراكشي، 1985م، صفحة 269) (ابن خلدون، 1989م، صفحة 338) (عنان1، 1990م، الصفحات 350-351) (حركات، 2000م، صفحة 289).

سعى إلى تعبئة أنصاره، فاستدعى أشياخ الموحدين والفقهاء وكبار الأعيان في مُرسِيَة وضواحيها، وعرض عليهم فكرة توليته الخلافة، فاستجابوا لدعوته، وأعلنوا البيعة له، واتخذ لنفسه لقب العادل (٦٢١-٦٢٤هـ/١٢٢٤-١٢٢٧م)، وتم ذلك في اليوم الثالث عشر من شهر صفر سنة (٦٢١هـ/١٢٢٤م)، أي بعد نحو شهرين من بيعة عبد الواحد في مراكش، وما لبثت هذه الدعوة أن امتدت في أرجاء الأندلس، فأعلن إخوته الثلاثة: أبو العلاء والي قرطبة، وأبو موسى والي مالَقَة وهي مدينة جنوب شرق الأندلس، اشتهرت بالزراعة، وصناعة الجلود (ابن سعيد المغربي، الجغرافيا، 1970م، صفحة 140) (لسان الدين بن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، 2002م، صفحة 87)، وأبو الحسن والي غرناطة ولاءهم له، كما بايعه عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن، والي جيّان وهي مدينة اندلسية تابعة للبيرة، تشتهر بالزراعة، وتوجد فيها المعادن (ابن الفقيه، 1996م، صفحة 138) (الحميري، 1980م، صفحة 183) والذي سيُعرف لاحقًا

بـــالبيّاسي نسبةً إلى مدينة بيّاسة وهي مدينة من اعمال لجيّان، وهي ذات أسوار وأسواق ومتاجر (الحموي، 1995م، صـفحة 518) (الحميري، 1980م، صـفحة 121)التي تمرد بها على العادل لاحقًا، وقد كان سـبب انضمامه الأول للعادل أن الخليفة عبد الواحد قد أصدر قرارًا بعزله مـن ولاية جيّان وتولية عمه أبي الربيع بـن أبي حفص مكانه (ابـــن عذاري المراكشي، 1985م، صفحة 270) (ابـــن أبي زرع، 1972م، صفحة 245) (عنان1، 1990م، صفحة 350).

بهذه التحركات اســـتطاع العادل أن يؤسس لنفسه سلطةً فعليةً فـــي معظم قواعد الأندلس، باستثناء مـــناطق بلنسية وما يتبعها وشاطبة التي تقع شرق الأندلس، كثيرة الثمر، طيبة الهواء، وتشتهر بصناعة الكاغد (القزويني، د.ت، صفحة 539) (الحميري، 1980م، صفحة 337)، إذ رفض واليها أبو زيد بـن عبد المؤمـن، شقيق البيّاسي، الاعتراف بشرعيته (ابـــن خلدون، 1989م، صفحة 338) (ابـــن أبي زرع، 1972م، صفحة 345) (عنان1، 1990م، صفحة 351)، بل تجاوز العادل ذلك إلى مراسلة أشياخ الموحدين فـي مراكش داعيًا إياهم إلى خلع عبد الواحد ومبايعته، مقابل وعودٍ بمـنحهم المـناصب الرفـيعة والصِلات الجزيلة، وأثمرت هذه المراسلات عـن انقلابٍ جديد، فقد أذعـن أشياخ الموحدين لدعوة العادل، ودخلوا على الخليفة عبد الواحد فـي قصره بمراكش، وواجهوه بتهديدٍ مباشر، وأجبروه على التنازل عن الخلافة رسميًا أمام القاضي والفقهاء والأشياخ، وذلك فـي شهر شعبان سنة (٦٢١هـ/١٢٢٤م)، وبعد أيامٍ قليلة، اقتحم بعض الموحدين قصره، فنهبوا محتوياته وســبوا حُرَمَه، ثم أجهزوا عليه قَتْلًا (ابـــن عذاري المراكشي، 1985م، صفحة 270) (السلاوي، د.ت، صفحة 230) (الصلابي، 2009م، صفحة 225) وهكذا أصبح عبد الواحد أول خليفةٍ مـــن بـــني عبد المؤمـــن يُخلع ويُقتل على أيدي رجال دولته، فاتحًا بابًا واســـــعًا لدوامة الاغتيالات والانقسـامات التي عجّلت بانهيار الدولة الموحدية في المغرب.

عـندما بلغ خبر مبايعة الخليفة العادل أشـياخ الموحدين فـي المغرب، ظهر بينهم خلافٌ واضحٌ حول الموقف الذي ينبغي اتخاذه إزاء هذه البيعة، فقد رأى فريقٌ مـــنهم ضرورة القبول بالأمر الواقع ومســـاندة العادل حفاظًا على وحدة الدولة، بينما أبدى آخرون تحفظهم خشية أن تؤدي هذه المبايعة إلى إضعاف نفوذهم السياسي ومكانتهم التقليدية بين القبائل الموحدية، ونتيجة لهـذا الانقسام الداخلي، سـارعوا إلى خلع الوزير أبي سعيد بـن جامع مـن مـنصبه، ثم اقتسموا مقاليد السلطة فـي المغرب بينهم على نحوٍ مؤقت، فـي محاولةٍ لتسيير شؤون الدولة دون تمكين العادل مـن إحكام سيطرته (ابـن أبي زرع، 1972م، صفحة 245) (السلاوي، د.ت، صفحة 230) (عنان1، 1990م، صفحة 351).

ولتعزيز موقفهم، بعثوا أوامرهم إلى قيادة الأسـطول المرابط بالسـواحل المغربية تقضـي بمـــنع عبور العادل مـن الأندلس إلى المغرب، فـي خطوةٍ هدفت إلى إبطاء حركته ومـنحه رسالةً سياسيةً واضحةً مفادها أن ولوج المغرب لن يكون سهلًا دون موافقتهم، غير أن هـــذا الموقف لم يدم طويلًا، إذ سرعان ما أدرك الأشياخ ضعف موقفهم أمام الشرعية الدينية والسياسية التي يمثلها العادل باعتباره مـــن البيت الموحدي الحاكم، فضلًا

عن حاجتهم إلى غطاءٍ مركزيّ يضمن لهم الاستقرار في مواجهة أي تمردٍ داخليّ أو تهديدٍ خارجيّ، وبناءً على ذلك، تراجعوا عن موقفهم الأول، وأرسلوا بيعتهم إلى العادل معلنين ولاءهم له بعد فترةٍ وجيزةٍ من التردد والانقسام (ابن خلدون، 1989م، صفحة 338) (عنان1، 1990م، صفحة 352).

ويعكس هذا الحدث بوضوح طبيعة المشهد السياسي في المغرب خلال أواخر الدولة الموحدية، إذ أضحى ولاء الأشياخ مرهونًا بمصالحهم الذاتية وموازين القوى الفعلية أكثر من ارتباطه بالشرعية الدينية أو السياسية، وهو ما يعكس مرحلة التراجع التي دخلتها الدولة مع تفكك بنيتها الداخلية.

في تلك الحقبة الحرجة من تاريخ الأندلس، اضطربت الأوضاع الداخلية واتخذت منحًى جديدًا لم يكن في الحسبان، وكان لبيعة الخليفة العادل الموحدي أثرٌ بالغٌ في تعجيل تفكك السلطة المركزية بالأندلس، فقد كان أبو محمد عبد الله صاحب جيّان، يراقب موقف أخيه السيد أبي زيد، والي بلنسية وشاطبة، الذي رفض الانقياد لبيعة العادل واعتصم بحصونه الشرقية، مما دفعه إلى خلع طاعة ابن عمه العادل، وإعلان نفسه خليفةً متلقبًا بالظافر، وقد دانت له جيّان وأُبَّدة وهي مدينة أندلسية، قريبة من نهر الوادي الكبير، تكثر فيها زراعة الحبوب (الحميري، 1980م، صفحة 6) وقُرطاجَة وهي من اعمال جيان، وهي ثغر من ثغور المسلمين، وفيها اراضي خصبة صالحة للزراعة (ابن سعيد المغربي، المغُرب في حُلى المغرب، 1955م، صفحة 63) (عنان1، 1990م، صفحة 357) وبيّاسة وسائر تلك النواحي، سارع العادل إلى إخماد هذا التمرد، فأرسل من إشبيلية أخاه أبا العلاء إدريس بن المنصور على رأس جيشٍ كبيرٍ من الموحدين، لكن الظافر استشعر خطر الحملة، فغادر جيّان ولجأ إلى بيّاسة متحصنًا بها، ومنذ ذلك الحين نُسب إليها فلُقِّب بـ "البيّاسي". ولم يكتفِ بالمقاومة العسكرية، بل بادر إلى الاستعانة بالعدو التقليدي، فرناندو الثالث ملك قشتالة (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 246) (السلاوي، د.ت، صفحة 231) (حركات، 2000م، صفحة 289).

من الناحية السياسية، كان هذا الانشقاق إيذانًا بتصدُّع هيبة الموحدين بالأندلس، إذ أصبح ولاء القلاع والمدن موزعًا بين ثلاثة أطراف: العادل في إشبيلية، والبياسي أبي محمد عبد الله في بياسة وما جاورها، وأبي زيد في شرق الأندلس، ومثَّل ذلك أول خطوة عملية نحو انهيار السلطة الموحدية الموحدة التي كانت قائمة منذ عهد عبد المؤمن والمنصور.

أحكم أبو العلاء إدريس طوق الحصار على مدينة بَيَّاسة سنة (٦٢١هـ/١٢٢٣م)، فلما تضايق أهلها من شدته، أبرم حاكمها محمدٌ البياسيُّ صلحًا معه متظاهرًا بالخضوع، وأقسم بالولاء للخليفة الموحدي العادل، غير أنَّ البياسيَّ نكث عهده بعد رحيل إدريس مباشرة، فأسرع العادل بتشكيل قوةٍ عسكريةٍ جديدة، سلَّم قيادتها إلى أبي سعيد عثمان بن حفص، فزحف الجيش نحو بياسة وعسكر على مسافة خمسة أميال جنوبيَّها، بادرهم عندئذٍ قرابة مئة فارس من أتباع البياسي، مدعومين بكتيبة من حلفائهم القشتاليين، فلما أبصر الموحدون الجيش المختلط، اعتراهم ذعرٌ شديد، فهربوا منهزمين دون اشتباك، وتقهقروا إلى إشبيلية، وهكذا ثبت حكم البياسي لبياسة بلا منافس، بينما استولى حلفاؤه القشتاليون على قصبتها، وفي هذه الأثناء بسط البياسي نفوذه على

قرطبة ومالقة، فبلغت فتنة الموحدين ذروتها (ابـــــن أبي زرع، 1972م، صــفحة 246) (الحميري، 1980م، صفحة 121) (السلاوي، د.ت، صفحة 231).

استغل النصارى هذا الانقسام الداخلي، وشرعوا في غزو المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى، فكانت الحصيلة فادحة: قتلى وأسرى، وحصون إسلامية تتساقط دون مقاومة حقيقية، الأمر الذي مثَّل مـــنعطفًا خطيرًا في تاريخ الوجود الإسلامي بالأندلس.

وفـــي هذه الأثناء، وصلت إلى العادل فـــي إشبيلية أنباء البيعة له بمراكش والمغرب بعد خلع الخليفة عبد الواحد وقتله، ليصبح العرش الموحدي شاغرًا، فاستشعر العادل أن الأندلس لم تعد قاعدة آمـــنة لحكمه، خاصة بعد فشله فـــي القضاء على البياسي وكبح هجمات النصارى، فقرر الجواز إلى المغرب تاركًا الأندلـــس لأخيه أبي العلاء، فعبر البحر فـــي ذي القعدة، سنة (٦٢٢هـــ/أكتوبر ١٢٢٤م)، واســـتقر فـــي قصر الخلافة بمراكش (ابـــن أبي زرع، 1972م، صفحة 246) (ابـــن خلدون، 1989م، صفحة 339) (عـــنان1، 1990م، صفحة 355).

لكن الأندلس كانت قد انزلقت إلى الفوضى الكاملة، إذ حاول البياســـــي الاستيلاء على إشبيلية سنة (٦٢٣هـــ/١٢٢٦م) والقضاء على حكم العادل وأخيه نهائيًا، ودارت بين الطرفـــين معركة فاصلة انتهت بهزيمة البياسي وانكســـار قواته، فلاذ بالفرار نحو قرطبة، وهناك انقلب عليه أهلها بعد أن رأوا إفراطه فـــي التحالف مع النصارى وتســـليمه الحصون لهم، فقتلوه، وقطعوا رأسه، وأرسلوه إلى أبي العلاء فـــي إشـــبيلية (ابـــن عذاري المراكشي، 1985م، الصفحات 271–272) (عنان1، 1990م، الصفحات 360–361) .

وفي سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٧م) أقدم أبو العلاء إدريس بن المنصور، والي إشبيلية وقرطبة، على الثورة ضد أخيه الخليفة العادل، فنزع عـــن طاعته، وأعلن الدعوة لنفسه بالخلافة، بعد أن أحكم التدبير وأطال التهيؤ، ولم يكن قراره طفرةً ولا اندفاعًا عارضًا، بل جاء ثمرة سعي دؤوب واتصالات خفـــية مع رجال الدولة وأشياخ الموحدين، وقد أحاط به في إشبيلية نفرٌ من وجوههم وكبرائهم، فأراد أن يستطلع آراءهم ويختبر استعدادهم قبل أن يُقدِم على الخطوة الحاسمة، فاستعان بقاضي المدينة أبي الوليد بـــن أبي الأصبغ، وأوصاه بأن يصوغ خطبة بليغة تُلقى فـــي صلاة عيد الفطر، يُلمِّح فـــيها إلى أمر الخلافة ويشير برفق إلى عزم أبي العلاء على النهوض بأعبائها (ابـــن عذاري المراكشي، 1985م، صفحة 275) (ابـــن أبي زرع، 1972م، صفحة 246) (عـــنان1، 1990م، صفحة 364).

وحين ارتقى القاضي المـــنبر يوم العيد، وأفاض فـــي خطبته البليغة، أثارت كلماته النفوس وأشـــعلت الحمية في القلوب، وفي اليوم التالي اجتمع أشياخ الموحدين وأعيانهم في دار أبي العلاء، فأجمعوا على مبايعته بالخلافة، فتلقب بالمأمون (٦٢٤–٦٢٩هـ/١٢٢٧–١٢٣١م)، فـــي إشـــارة إلى ما يرجوه لنفسه مـــن أمان الملك وثبات الســـلطان، وسرعان ما لحقت به ولايات الأندلس، وفـــي طليعتها بلنسية تحت ولاية أبي زيد، كما أعلنت مدينة سبتة في العدوة بيعتها له أولاً، ثم تبعتها مدينة طنجة (ابـــــن عذاري المراكشي، 1985م، صفحة 275)

(عنان1، 1990م، صفحة 364)، وهي مدينة أزلية آثارها ظاهرة بناؤها بالحجارة، تقع على مضيق جبل طارق (البغدادي، 1992م، صفحة 894) (الحميري، 1980م، صفحة 395)، ولم يكتفِ المأمون بذلك، بل راسل ابن يوجان يستحثه على مبايعته والقيام بنصرته، مستثمرًا ما أصاب هذا الأخير من سخط العادل الذي أقصاه وهمشه، كما وجه ابن يوجان دعوته إلى هلال بن مقدم أمير عرب الخلط، وعمر بن وقاريط شيخ هسكورة، ليواصلا إغاراتهما على ضواحي مراكش، حتى يرضخ الأشياخ لخلع العادل وإقرار البيعة للمأمون (ابن خلدون، 1989م، صفحة 340) (الحميري، 1980م، صفحة 175) (عنان1، 1990م، صفحة 365).

وفي مراكش، كان زمام الدولة الفعلي بيد زعيمين من زعماء الموحدين هما: أبو زكريا بن الشهيد الهنتاتي، ويوسف بن علي التينمللي، فلما تناهت إليهما أخبار بيعة المأمون بالأندلس، واشتد خطر عرب الخلط وهسكورة، اجتمعا على خلع العادل، وألزماه بالتنازل عن الخلافة، فلما أبى واستمسك بموقفه، أجهزوا عليه وقتلوه، وبُويع للمأمون أولاً، وخُطِب باسمه في جامع المنصور، غير أن خوف الأشياخ من بأسه وغضبه جعلهم ينقضون بيعته، ويُوَلُّون أبا زكريا يحيى بن الناصر، ابن أخ العادل، الذي تلقب بالمعتصم، وكان فتى ناشئًا لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، إلا أن قبائل الخلط وهسكورة امتنعت عن بيعته، وظلت وفية للمأمون، وحين بلغته الأخبار في الأندلس، ثار غضبه وثارت حميته (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 248) (ابن خلدون، 1989م، صفحة 339) (الحميري، 1980م، صفحة 175) (حركات، 2000م، صفحة 290)، "فهاجت نفسه، ووقدت جمرته، واستعد لأخذ ثأره (لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في اخبار غرناطة، 2001م، صفحة 223) ، وأقسم أن يبذل كل ما أُوتي من قوة لاسترجاع العرش والاقتصاص من الأشياخ الغادرين، وزاد عزيمته ما تتابع عليه من بيعاتٍ من المغرب، منها والي فاس، ووالي تلمسان، محمد بن أبي زيد بن يوجان، ووالي سبتة أبو موسى بن المنصور، ووالي بجاية ابن أخته، فضلًا عن استدعاء هلال بن مقدم أمير عرب الخلط له للقدوم (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 248) (لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في اخبار غرناطة، 2001م، صفحة 223) (السلاوي، د.ت، صفحة 234) (حركات، 2000م، صفحة 290).

غير أن المأمون لم يُرِدْ أن يعبر البحر بلا قوة رادعة تكفل له الظفر، فعقد حلفًا مع فرناندو الثالث ملك قشتالة، يقضي بأن يُمِدَّه بفرسان وجنود يعبرون معه إلى المغرب ، مقابل أن يُسلِّمه عشرة حصون يختارها بنفسه، ويسمح له ببناء كنيسة في مراكش لإقامة شعائرهم، مع شروط أخرى، وفي سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) اجتاز المأمون البحر ونزل سبتة أيامًا ليتأهب للغزو، ثم تقدم صوب مراكش، فاصطدم بجيش المعتصم على مقربة من الحاضرة، فكانت الدائرة على المعتصم، وتشتت شمله، وقُتل جُلُّ رجاله، وفر بنفسه، ودخل المأمون مراكش فاتحًا، فسارع الأشياخ إلى مبايعته، واستوى على عرش الخلافة، وفي رمضان سنة (٦٢٧هـ/١٢٢٩م) خرج المأمون لرد هجوم المعتصم وحلفائه، فكانت الهزيمة عليهم ثانية، وسالت دماؤهم في المعركة، وقُتل منهم خلقٌ كثير، وفر المعتصم إلى درعة وهي مدينة صغيرة في المغرب الأقصى، قريبة من سجلماسة، يكثر فيها شجر الحناء (الحموي، 1995م، صفحة 451) (الحميري، 1980م، صفحة 235) ثم إلى سجلماسة التي تقع

في جنوب المغرب الأقصى، يمر بها نهر كبير قد غرسوا عليه البساتين مدّ البصر (الحموي، 1995م، صفحة 192) (لسان الدين بن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، 2002م، صفحة 180) مع القليل من فُلُولِه (ابن عذاري المراكشي، 1985م، صفحة 284) (ابن أبي زرع، 1972م، الصفحات 250–251) (ابن خلدون، 1989م، صفحة 341).

وفي سنة (٦٢٩هـ/١٢٣٢م) ظهر مُدَّعٍ جديد للخلافة، هو السيد أبو موسى بن يعقوب المنصور، شقيق الخليفة المأمون ووالي سبتة، أعلن أبو موسى الدعوة لنفسه واتخذ لقب المؤيد بالله، في وقت كانت فيه أركان الدولة تتصدع تحت وقع الاضطرابات الداخلية، إذ ثارت جملة من القبائل وأحاطت بأسوار مكناسة، أمام هذا التحدي، هبَّ الخليفة المأمون مسرعًا، فاستنفر قواته الجرارة من مراكش قاصدًا إخضاع القبائل الثائرة أولاً، ثم الزحف إلى سبتة ثانيًا، وقد اطمأن إلى ما عدَّه عجز ابن أخيه يحيى المعتصم عن استئناف أي حركة مناوئة، وما إن أشرف بجيشه على مكناسة حتى بادرت القبائل المتمرّدة إلى التفرق والانحلال، فتابع مسيره نحو سبتة، حيث ضرب عليها حصارًا بريًّا خانقًا استمر ثلاثة أشهر، عاقدًا العزم على إخضاع شقيقه المتمرّد (ابن عذاري المراكشي، 1985م، صفحة 297) (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 253) (الزركشي، 2002م، صفحة 58) (السلاوي، د.ت، صفحة 231).

غير أن الموازين انقلبت فجأة حين وصله نبأ استيلاء يحيى المعتصم على مراكش، العاصمة السياسية للدولة ومركز ثقلها العسكري والإداري، فاضطر المأمون إلى رفع الحصار والعودة مسرعًا، وفي هذه الأثناء، انتهز أبو موسى الفرصة، فعبر إلى الأندلس وبايع محمد بن هود الذي كان قد فرض هيمنته على جُلِّ قواعد الأندلس، وتنازل له عن سبتة مقابل أن يُولِّيَه المرية وهي مدينة ساحلية، تقع جنوب شرق الأندلس أمر ببنائها الخليفة عبدالرحمن الناصر سنة (344هـ/955م)، وأصبحت من القواعد الكبرى للأسطول الأندلسي (الحموي، 1995م، صفحة 119) (ابن الوردي، د.ت، صفحة 26) (السيد، 1984م، صفحة 77)، وفي أثناء عودة المأمون، ألمَّ به مرضٌ مباغت عند وادي العبيد، فلم يلبث أن تُوفي في أواخر ذي الحجة سنة (٦٢٩هـ/١٢٣٢م) (ابن عذاري المراكشي، 1985م، صفحة 298) (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 253) (ابن خلدون، 1989م، صفحة 341) (الزركشي، 2002م، صفحة 58) (السلاوي، د.ت، صفحة 231)، ويقول صاحب كتاب الأنيس المطرب: "وكانت أيامه كلها شقية في منازعة يحيى، افترق الموحدون فيها فرقتين، فصارت الدولة دولتين، فكان محو دولتهم وذهاب نخوتهم على يديه، لأنه وضع السيف فيهم حتى أفناهم" (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 253)، وعقب وفاته، اجتمع أشياخ الموحدين وقادة العسكر، فاختاروا ابنه أبا محمد عبد الواحد الرشيد للخلافة (٦٣٠–٦٤٠هـ/١٢٣٢–١٢٤٢م)، وحُمِل جثمان المأمون في تابوت يتقدم الجيش المتأهب لملاقاة المعتصم، وما إن اقتربت قوات الموحدين من مراكش حتى خرج المعتصم لمواجهتها، فانخرط الجمعان في معركة ضارية انتهت بانكسار المعتصم، ومقتل معظم جنده، وتشتُّت فُلُوله في الأرجاء (ابن

عذاري المراكشي، 1985م، صفحة 301) (ابـــن أبي زرع، 1972م، صفحة 255) (ابـــن خلدون، 1989م، صفحة 342) (الزركشي، 2002م، الصفحات 58-59)

وفي سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٦م) أقدم الخليفة أبو الحسن الرشيد الموحدي على استدعاء أشياخ قبيلة الخلط وسادتهم إلى قصره في مراكش، في دعوةٍ ظاهرها التقدير وباطنها التصفية، إذ ما إن دخلوا عليه حتى أمر بقتل خمسة وعش رين أميرًا مـــنهم داخل أروقة القصر، فاندلعت ثورة الخلط غضبًا على هـــذا الفعل، فزحفوا على العاصمة مراكش وخرَّبوا أحياءها ونهبوها، الأمر الذي أجبره على الفرار صوب سجلماسـة مصحوبًا بجيش مـن الروم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، إذ بعث الخلط رُسُلًا إلى الأمير يحيى بن الناصر، المنافس على العرش، فبايعوه طوعًا، ثم أدخلوه مراكش ليكون سيدها الجديد (ابـــن خلدون، 1989م، صفحة 345) (ابـــن أبي زرع، 1972م، صفحة 255) (السلاوي، د.ت، صفحة 233).

لم يركن الرشيد إلى الهزيمة، بل أعاد ترتيب صفوفه، وجمع الجيوش والأموال، ثم انطلق مـــن معقله بسـجلماسـة متجهًا شـمالاً نحو فاس، حيث مكث فـــيها بضـعة أيام وزَّع خلالها الهبات والعطايا على علمائها وأعيانها، فـــي مسعى واضح لاستمالة قلوبهم وتعزيز شرعيته الســـياسية، ثم تحرك نحو مراكش، فخرج يحيى لملاقاته بجيش مـن العرب والموحدين، غير أن الرشيد أوقع به هزيمة نكراء، فقُتل مـن جيشه عددٌ كبير، ودفعه ذلك إلى الانســـحاب نحو رباط تازة، لكن القدر كان له بالمرصاد، إذ غدر به عرب المعقل وقتلوه غيلةً بعدما عجز عـن استرضائهم بالمال، وحملوا رأسه إلى الرشيد فـي مشهد يُلخِّص هشاشة الولاءات القبلية فـي زمـن الاضطراب، عاد الرشيد إلى مراكش متوَّجًا بالنصر، وأقام بها حتى وافته المـنية غريقًا فـي أحد صهاريج بستانه سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٢م)، لتُختتم حياته بنهاية مأساوية (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 255) (السلاوي، د.ت، صـفحة 246) (حركات، 2000م، صـفحة 292)، تاركًا خلفه إرثًا مثقلاً بالدماء والتحالفات المتقلبة، ومشـهدًا سياسيًا لا يقل اضطرابًا عما كان قبله.

بعد وفاة الرشيد، اجتمع الموحدون على بيعة علي بـــن المأمون (٦٤٠-٦٤٦هـــ/١٢٤٢-١٢٤٨م)، المُلقَّب بالسعيد، والمُسمَّى بالمعتضد بالله، اتسم عهده باضطراب الأوضـاع الداخلية وكثرة الفتن والتمردات، حتى لقي حتفه سنة (٦٤٦هـــ/١٢٤٨م) على أيدي بـــني عبد الواد فـــي أثناء حصاره لقلعتهم، حيث استولوا على ما خلَّفه جيشه مـــن الغنائم، وعقب مقتله، تولى الحكم فـــي مراكش أبو حفص عمر بـــن إسحاق، وهو مـــن أحفاد الخليفة يوسف بـن عبد المؤمـن، وحكم بين سنتي (٦٤٦-٦٦٥هـ/١٢٤٨-١٢٦٦م)، واتخذ لقب المرتضى، لكن أوضـاع الدولة واصلت التدهور، إذ لم تمضِ سنة على بيعته حتى بسط بـــنو مرين سيطرتهم على فاس، وهم ينتسبون الـــى قبيلة زناتة، ظهرت دولتهم فـــي المغرب الأقصى على انقاض دولة الموحدين، وأتخذوا مـــن مدينة فاس عاصمة لهم، استمرت دولتهم الـــى سنة (869هـــ/1456م) (ابـــن أبي زرع، 1972م، صفحة 307) (المـــــنوني، 2000م، صـفحة 14)، كما ثارت عليه سـبتة وأخرجت والي الموحدين مـــــنها، وفـــــي سـنة (٦٥١هـــ/١٢٥٣م)، اشتعلت ثورة بمدينة سوس، أخفق المرتضى فـــي إخمادها، ثم جاءت الضربة الأشد سنة

(٦٦٢هـ/١٢٦٤م)، حين حاصر بنو مرين مراكش، فاضطر المرتضى، بعد مقتل نجله في أثناء الحصار، إلى قبول دفع جزية سنوية لبني مرين مقابل رفع الحصار، فانحسرت بذلك سلطة الموحدين في المغرب الأقصى (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 258) (ابن خلدون، 1989م، صفحة 345) (القلقشندي، 1987م، صفحة 188) (السلاوي، د.ت، صفحة 247).

لمَّا انقضى حصار بني مرين لمراكش وانسحبوا عنها، أحسَّ قائد جيش الخليفة المرتضى، إدريس بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن، أن مكائد البلاط بدأت تنسج خيوطها حوله، بعدما وشى به خصومه إلى الخليفة، فأدرك أن حياته باتت مهددة، وخشي سطوة المرتضى وبطشه، وقد أُشيع أنه كان يكاتب بني مرين ويصانعهم، ويُضمر القيام على الخليفة، وأن الناس قد مالوا إليه لما عُرف عنه من البسالة والإقدام (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 260) (السلاوي، د.ت، صفحة 24) (عنان1، 1990م، صفحة 529)، وقيل له: "إنه يكاتب بني مرين ويصانعهم وهو يريد القيام عليك، والناس يميلون إليه لشجاعته، فانظر في أمره" (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 59)، شعر إدريس الملقب بأبي دبوس بخطر هذه الوشاية، فغادر نحو يعقوب بن عبد الحق المريني، مستنصرًا به، فاستقبله يعقوب بمدينة فاس، وهناك طلب أبو دبوس منه المساعدة في محاربة المرتضى، ضامنا له الاستيلاء على مراكش، فاستجاب يعقوب لطلبه، وأمده بثلاثة آلاف فارس من فرسان بني مرين، ومنحه الطبول والخيل والسلاح، وأمده بالمال نفقةً لطريقه، مقابل أن يمنحه أبو دبوس نصف ما يظفر به من الغنائم (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 59) (ابن خلدون، 1989م، صفحة 351) (السلاوي، د.ت، صفحة 24) (عنان1، 1990م، صفحة 529).

وانطلق أبو دبوس من فاس على رأس قواته نحو مراكش، وحين بلغ المرتضى خبر قدومه، استبد به القلق، فأمر بالقبض على عدد من قادته، وفي مقدمتهم قائد فرقة الروم، بدعوى الاشتباه في تواطئهم مع أبي دبوس، ويبدو أن هذا القرار كان نتيجة تحريض من بعض الوزراء الموالين لأبي دبوس، بغرض إضعاف الدفاعات الداخلية للعاصمة، وقد ترتب على ذلك أن انفضَّ عددٌ كبير من الجند عن المرتضى والتحقوا بالقوات الغازية، مما سهَّل على أبي دبوس دخول مراكش بلا مقاومة تُذكر، فدخلت القوات المهاجمة مراكش دخول الظافرين، أما المرتضى، فقد غادر القصر مع أولاده إلى مدينة أزمور، حيث كان واليها عبد العزيز بن عطوش، صِهْرَه، غير أن الأخير غدر به، وألقى القبض عليه، وأوثقه بالحديد، ثم بعث به إلى أبي دبوس، فأرسل هذا من يحمله إليه، لكن المرتضى قُتل في الطريق قبل أن يصل (ابن أبي زرع، 1972م، صفحة 260) (الذهبي، العبر في خبر من غبر، 1985م، صفحة 314) (اليافعي، 1997م، صفحة 125) ، على الأرجح بتدبير مباشر من أبي دبوس.

وبذلك، بُويع لأبي دبوس بالخلافة (٦٦٥–٦٦٨هـ/١٢٦٦–١٢٦٩م)، واتخذ لقب الواثق بالله، والمعتمد على الله، غير أنه امتنع بعد بيعته عن الوفاء بالعهد الذي قطعه ليعقوب المريني، فاشتمل غضب أبي يوسف

يعقوب، وســـار بجيشه إلى مراكش، وهناك التقى الجيشان فـــي معركة طاحنة، انتهت بمقتل أبي دبوس وتفكُّك جنده، فدخل أبو يوسف يعقوب مراكش، وتلقى البيعة، وكان ذلك إيذانًا بطيّ صفحة الدولة الموحدية وانقراضها سنة (٦٦٨هـ/١٢٦٩م) (ابـن أبي زرع، 1972م، صفحة 59) (الذهبي، العبر فـي خبر مـن غبر، 1985م، صفحة 314) (السلاوي، د.ت، صفحة 27) (الحريري، 1987م، الصفحات 31-35).

إن الدور الذي لعبه الصراع الأســري فـــي التعجيل بانهيار الدولة الموحدية يكاد يكون العامل الأكثر حسمًا فـي تفكيك بـنيانها السـياسي والعسكري، فقد تحول البيت الحاكم مـن مصدرٍ لوحدة الدولة واستقرارها إلى ساحة نزاع مفتوح بين الإخوة والأبـناء والأعمام، تُستخدم فـيه كل أدوات المـنافسة غير المشروعة مـن مؤامرات واغتيالات وتحالفات مع القوى الخارجية، هـــذا الصراع لم يستهلك فقط الطاقات البشرية والعسكرية للدولة، بل زعزع ثقة العامة والنخب فـي شرعية الخلافة الموحدية، وأتاح للقوى الإقليمية، كالمرينيين وبـني عبد الواد، فرصة التدخل وتوسيع نفوذهم على حساب الأراضي الموحدية، ومع كل جولة مـــن جولات هـــذا النزاع، كانت سلطة الخليفة تتآكل، والجيش يتفتت، والموارد تُستنزَف، حتى غدا الكيان الموحدي فـي أيامه الأخيرة عاجزًا عـن حماية عاصمته أو الدفاع عن حدوده، ومـن ثَمَّ، فإن سقوط مراكش سنة (٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، لم يكن مجرد نهاية حتمية لدولة أنهكتها التحديات، بل كان النتيجة المباشرة لصراع أسري دمَّر مقومات الوحدة الداخلية، وحوَّل السلطة إلى غنيمة يتنازعها الورثة بدلاً من أن تكون أداة حكم راشدة.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، يمكن استخلاص النتائج التالية:

١- كان الصراع على الخلافة عاملاً محوريًا في سقوط الدولة، فلم تكن النزاعات الأسرية مجرد أحداث عارضة، بل كانت سببًا هيكليًا أدى إلى تآكل قوة الدولة من الداخل.

٢- أدى غياب آلية واضحة لانتقال السلطة، ووفاة بعض الخلفاء دون تعيين وريث واضح، كما في حالة يوسف المستنصر، إلى فراغ سياسي استغلته الفصائل المتنافسة داخل الأسرة الحاكمة، مما أشعل فتيل حروب أهلية.

٣- لم يتردد بعض الأمراء المتنازعين، فـي خضم صراعاتهم، فـي الاستعانة بالقوى الخارجية وطلب العون مـن أعداء الدولة، مثل الممالك المسـيحية فـــي الأندلس، مما أضـعف سـيادة الموحدين وفتح الباب للتدخل الأجنبي.

٤- أدت النزاعات على السلطة فـي العاصمة مراكش إلى انفصال أجزاء واسعة مـن الإمبراطورية، مما أثر على وحدتها، حيث استقل الحفصيون في تونس، وبنو عبد الواد في تلمسان، وضاعت معظم أراضي الأندلس.

٥- استنزفت الصراعات الداخلية الموارد الاقتصادية والعسكرية للدولة ووجهتها نحو حروب أهلية، بدلاً مـــن أن تكون مخصصة للدفاع عـــن الحدود ومواجهة التهديدات الخارجية، مما أدى إلى إضعاف الجيش وتدهور الاقتصاد.

٦- خلصت الدراسة إلى أن نهاية الدولة الموحدية لم تكن حدثًا فجائيًا، بل كانت نتيجة مـــنطقية لمسار طويل مـــن الاضطرابات الداخلية، بلغ ذروته بسقوط مراكش على يد المرينيين سنة (٦٦٨هـــ/١٢٦٩م)، وانتهاء حكم الموحدين بشكل كامل، لتُطوى صفحة من التاريخ السياسي للمغرب والأندلس.

قائمة المصادر والمراجع :

- ابن الاثير ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد . (1992م). الكامل في التاريخ (الإصدار ج9، المجلد 2). (تحقيق: عبدالله القاضي، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني. (1989م). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (الإصدار 1، المجلد 1). بيروت: عالم الكتب.
- ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبدالله الفاسي. (1972م). الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة.
- البغدادي صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق. (1992م). مراصد الأطلاع على أسماء الامكنة والبقاع (الإصدار ج1، المجلد 1). (تحقيق: علي محمد البجاوي، المحرر) بيروت: دار الجيل.
- البكري ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز. (1992م). المسالك والممالك. بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي. (1971م). اخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين. الرباط،: دار المنصور للطباعة والوراقة.
- الحموي شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله. (1995م). معجم البلدان (الإصدار 1). بيروت: دار صادر.
- الحميري أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم. (1980م). الروض المعطار في خبر الأقطار (المجلد ط2). (تحقيق: احسان عباس، المحرر) بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة.
- ابن خلدون أبي زكريا يحيى بن محمد. (1989م). العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (الإصدار 6، المجلد 2). (تحقيق: خليل شحاده، المحرر) بيروت: دار الفكر.
- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن أحمد بن أبي بكر. (د.ت). وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان (الإصدار ج3). (تحقيق: احسان عباس، المحرر) بيروت: دار صادر.

- الذهبي شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان. (1993). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (الإصدار ج40). (تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.
- الذهبي شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان. (2006). سير أعلام النبلاء. القاهرة: دار الحديث.
- الذهبي شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان. (1985م). العبر في خبر من غبر (المجلد 1). (تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- الزركشي أبو عبدالله محمد بن إبراهيم. (2002م). تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية. (تحقيق : محمد ماضود، المحرر) تونس: المكتبة العتيقة.
- ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن سعيد. (1955م). المغُرب في حُلى المغرب. (تحقيق: شوقي ضيف، المحرر) القاهرة: دار المعارف.
- ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن سعيد. (1970م). الجغرافيا (المجلد 1). (تحقيق: اسماعيل العربي، المحرر) بيروت: المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع.
- السلاوي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. (د.ت). الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الإصدار 2). (تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، المحرر) الدار البيضاء: دار الكتب.
- ابن صاحب الصلاة عبدالملك بن محمد. (1998م). المن بالامامة تاريخ بلاد المغرب والاندلس في عهد الموحدين (المجلد 3). (تحقيق: عبد الهادي التازي، المحرر) بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- ابن عذاري المراكشي أبو العباس أحمد بن محمد. (1985م). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين. (تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، المحرر) بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- ابو الفداء عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود. (د.ت). المختصر في اخبار البشر (المجلد 1). مصر: مطبعة الحسينية المصرية.
- ابن الفقيه أبو عبدالله أحمد بن محمد بن اسحاق. (1996م). البلدان (المجلد 1). (تحقيق : يوسف الهادي، المحرر) بيروت: عالم الكتب.
- القزويني زكريا بن محمد بن محمود. (د.ت). آثار البلاد واخبار العباد. بيروت: دار صادر.
- القشيري أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم. (د.ت). الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم (الإصدار برقم1853). بيروت: دار الجيل، دار الافاق الجديد.
- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي بن احمد. (1987م). صبح الأعشى في صناعة الانشا (المجلد 1). (تحقيق : يوسف علي الطويل، المحرر) دمشق: دار الفكر.
- لسان الدين بن الخطيب محمد بن محمد بن عبدالله. (2001م). لإحاطة في اخبار غرناطة (المجلد 1). (شرحه وضبطه وقدم له : يوسف علي الطويل، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

- لسان الدين بن الخطيب محمد بن محمد بن عبدالله. (2002م). معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار (المجلد 1). (تحقيق: محمد كمال شبانة، المحرر) القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- مجهول مؤلف. (د.ت). الاستبصار في عجائب الامصار. (تعليق: سعد زغلول عبدالحميد، المحرر) بغداد: دار الشؤون الثقافية.
- مجهول1 مؤلف. (1979م). الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. (تحقيق، سهيل زكار وعبدالقادر زمامة، المحرر) الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة.
- المراكشي محي الدين محمد بن عبدالواحد بن علي التميمي. (2006م). المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس الى آخر عصر الموحدين (المجلد 1). (تحقيق: صلاح الدين الهواري،، المحرر) بيروت: المكتبة العصرية.
- المقري أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني. (1997م). نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (المجلد 1). (تحقيق: احسان عباس، المحرر) بيروت: دار صادر.
- المنجم إسحاق بن الحسين. (1987م). آكمام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان (المجلد 1). بيروت: عالم الكتب.
- ابن الوردي عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس. (د.ت). عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب. (تحقيق: انور محمود الزناتي، المحرر) مصر: جامعة عين شمس.
- اليافعي أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي. (1997م). مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (المجلد 1). (وضع حواشيه : خليل منصور، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- اليعقوبي احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح. (2001م). البلدان (المجلد 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ارسلان شكيب. (1983م). خلاصة تاريخ الأندلس. بيروت: دار مكتبة الحياة.
- الحريري محمد عيسى. (1987م). تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني (المجلد 2). الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع.
- حركات إبراهيم. (2000م). المغرب عبر التاريخ. دار الرشاد: دار الرشاد.
- الزركلي خيرالدين بن محمود بن محمد بن علي. (2002). الأعلام (الإصدار ج4، المجلد 5). بيروت: دار الملايين.
- السيد سالم عبدالعزيز. (1984م). تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس (المجلد 1). الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر.

- الصلابي علي محمد. (2009م). تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الافريقي (المجلد 3). بيروت: دار المعرفة.
- عنان محمد عبدالله. (1990م). دولة الإسلام في الأندلس، العصرالثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، القسم الاول، (عصر المرابطين وبداية دولة الموحدين) (المجلد 2). القاهرة: مطبعة الخانجي.
- عنان1 محمد عبدالله. (1990م). دولة الإسلام في الأندلس، العصرالثالث، (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، القسم الثاني (عصر الموحدين وإنهيار الأندلس الكبرى) (المجلد 2). القاهرة: مطبعة الخانجي.
- عودات احمد. (1989م). تاريخ المغرب والأندلس من القرن السادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري. اربد: دار الأمل للنشر والتوزيع.
- المنوني محمد. (2000م). ورقات عن حضارة المرينيين (المجلد 3). الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

Bibliography of Arabic References (Translated toEnglish)

- Ibn Abi Zarʿ, Abu al-Hasan ʿAli bin ʿAbdullah al-Fasi. (1972). Al-Anīs al-Muṭrib bi-Rawḍ al-Qirṭās fī Akhbār Mulūk al-Maghrib wa-Tārīkh Madīnat Fās [The Delightful Companion in the Garden of Qirtas: History of the Kings of Morocco and the City of Fez]. Rabat: Dar al-Mansur for Printing and Publishing.
- Ibn al-Athir, Abu al-Hasan ʿAli bin Abi al-Karam Muhammad bin Muhammad bin ʿAbd. (1992). Al-Kāmil fī al-Tārīkh [The Complete History] (Vol. 9, Part 2). Edited by Abdullah al-Qadi. Beirut: Dar al-Kutub al-ʿIlmiyya.
- Ibn al-Faqih, Abu Abdullah Ahmad bin Muhammad bin Ishaq. (1996). Al-Buldān [The Book of Countries] (Vol. 1). Edited by Yusuf al-Hadi. Beirut: ʿAlam al-Kutub.
- Ibn al-Wardi, ʿUmar bin Muẓaffar bin ʿUmar bin Muhammad bin Abi al-Fawaris. (n.d.). ʿAjāʾib al-Buldān min Khilāl Makhṭūṭ Khurīdat al-ʿAjāʾib wa-Farīdat al-Gharāʾib [Wonders of Lands through the Manuscript "The Unique Pearl of Marvels and Rarities"]. Edited by Anwar Mahmoud al-Zanati. Cairo: Ain Shams University.
- Ibn Khaldun, Abu Zakaria Yahya bin Muhammad. (1989). Kitāb al-ʿIbar wa-Dīwān al-Mubtadaʾ wa-l-Khabar fī Ayyām al-ʿArab wa-l-ʿAjam wa-l-Barbar wa-Man ʿĀṣarahum min Dhawī al-Sulṭān al-Akbar [Book of Lessons and Archive of

Beginnings and Events in the History of Arabs, Persians, Berbers, and their Contemporaries of Great Authority] (6th ed., Vol. 2). Edited by Khalil Shehadeh. Beirut: Dar al-Fikr.

- Ibn Khallikan, Abu al-ʿAbbas Shams al-Din Ahmad bin Ahmad bin Abi Bakr. (n.d.). Wafayāt al-Aʿyān wa-Anbāʾ Abnāʾ al-Zamān [Deaths of Eminent Men and History of the Sons of the Age] (Vol. 3). Edited by Ihsan Abbas. Beirut: Dar Sader.
- Ibn Saʿid al-Maghribi, Abu al-Hasan ʿAli bin Musa Muhammad bin Saʿid. (1955). Al-Mughrib fī Ḥulā al-Maghrib [The Moroccan in the Jewels of the Maghreb]. Edited by Shawqi Dayf. Cairo: Dar al-Maʿarif.
- Ibn Saʿid al-Maghribi, Abu al-Hasan ʿAli bin Musa Muhammad bin Saʿid. (1970). Al-Jughrāfiyā [Geography] (Vol. 1). Edited by Ismail al-ʿArabi. Beirut: Al-Maktaba al-Tijariyya for Printing, Publishing, and Distribution.
- Ibn Sahib al-Salat, ʿAbd al-Malik bin Muhammad. (1998). Al-Mann bi-l-Imāma: Tārīkh Bilād al-Maghrib wa-l-Andalus fī ʿAhd al-Muwaḥḥidīn [The Gift of the Imamate: History of the Maghreb and al-Andalus in the Almohad Era] (Vol. 3). Edited by ʿAbd al-Hadi al-Tazi. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.
- Ibn ʿIdhari al-Marrakushi, Abu al-ʿAbbas Ahmad bin Muhammad. (1985). Al-Bayān al-Mughrib fī Akhbār al-Andalus wa-l-Maghrib, Qism al-Muwaḥḥidīn [The Clear Statement on the History of al-Andalus and the Maghreb, Almohad Section] (Vol. 1). Edited by Muhammad Ibrahim al-Kattani et al. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.
- Abu al-Fidaʾ, ʿImad al-Din Ismaʿil bin ʿAli bin Mahmoud. (n.d.). Al-Mukhtaṣar fī Akhbār al-Bashar [The Concise Account of Human History] (Vol. 1). Cairo: Al-Husayniyya Egyptian Press.
- Arslan, Shakib. (1983). Khilāṣat Tārīkh al-Andalus [Summary of the History of al-Andalus]. Beirut: Dar Maktabat al-Hayat.
- Al-Idrisi, Muhammad ibn Muhammad ibn Abdullah ibn Idris al-Hasani. (1989). Nuzhat al-Mushtaq fi Ikhtiraq al-Afaq [The Excursion of the Seeker in Exploring Horizons] (1st ed., Vol. 1). Beirut: Alam al-Kutub.
- Al-Baghdadi, Safi al-Din Abd al-Mu'min ibn Abd al-Haqq. (1992). Marasid al-Ittila' 'ala Asma' al-Amkina wa al-Biqa' [Observatories for Reviewing the Names of Places and Regions] (Vol. 1, edited by Ali Muhammad al-Bajawi). Beirut: Dar al-Jeel.
- Al-Bakri, Abu Ubaid Abdallah ibn Abd al-Aziz. (1992). al-Masalik wa al-Mamalik [The Routes and Kingdoms]. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.

- Al-Baidhqi, Abu Bakr ibn Ali al-Sanhaji. (1971). Akhbar al-Mahdi ibn Tumart wa Bidayat Dawlat al-Muwahhidin [The News of al-Mahdi ibn Tumart and the Beginning of the Almohad State]. Rabat: Dar al-Mansur for Printing and Publishing.
- Al-Hariri, Muhammad Isa. (1987). Tarikh al-Maghrib wa al-Andalus fi al-'Asr al-Marinidi [History of Morocco and al-Andalus in the Marinid Era] (Vol. 2). Kuwait: Dar al-Qalam.
- Al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut ibn Abdullah. (1995). Mu'jam al-Buldan [Dictionary of Countries] (1st ed.). Beirut: Dar Sader.
- Al-Hamiri, Abu Abdullah Muhammad ibn Abdullah ibn Abd al-Mun'im. (1980). al-Rawd al-Mi'ttar fi Khabar al-Aqtar [The Perfumed Garden in the Knowledge of Lands] (2nd ed., edited by Ihsan Abbas). Beirut: Nasser Foundation for Culture.
- Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman. (1993). Tarikh al-Islam wa Wafayat al-Mashahir wa al-A'lam [History of Islam and the Deaths of Famous Figures] (Vol. 40, edited by Omar Abd al-Salam al-Tadmari). Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi.
- Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman. (1985). al-'Ibar fi Khabar man Ghabar [Lessons in the History of Past Generations] (Vol. 1, edited by Abu Hajar Muhammad al-Said ibn Basyuni Zaghul). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiya.
- Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman. (2006). Siyar A'lam al-Nubala' [Biographies of the Noble Figures]. Cairo: Dar al-Hadith.
- Al-Zarkashi, Abu Abdullah Muhammad ibn Ibrahim. (2002). Tarikh al-Dawlatayn al-Muwahhadiya wa al-Hafsiya [History of the Almohad and Hafsid States] (edited by Muhammad Madud). Tunis: Al-Maktaba al-'Atiqah.
- Al-Zarkali, Khair al-Din ibn Mahmoud ibn Muhammad ibn Ali. (2002). Al-A'lam [The Notables] (Vol. 5, Edition 4). Beirut: Dar al-Malayin.
- Al-Salawi, Shihab al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Khalid al-Nasiri. (n.d.). Al-Istiqsa' li Akhbar Dawlat al-Maghrib al-Aqsa [Investigation of the News of the States of the Maghreb] (2nd ed., edited by Ja'far al-Nasiri & Muhammad al-Nasiri). Casablanca: Dar al-Kutub.
- Al-Salim, Salem Abd al-Aziz. (1984). Tarikh Madinat al-Mariyya al-Islamiyya: Qaidat Usṭul al-Andalus [History of the Islamic City of Mariyya: The Base of the Andalusian Fleet] (Vol. 1). Alexandria: Shabab al-Jami'a Foundation for Printing and Publishing.

- Al-Salabi, Ali Muhammad. (2009). Tarikh Dawlatay al-Murabitin wa al-Muwahhidin fi al-Shamal al-Afriqi [History of the Almoravid and Almohad States in North Africa] (Vol. 3). Beirut: Dar al-Ma'rifa.
- Al-Qazwini, Zakariya ibn Muhammad ibn Mahmoud. (n.d.). Athar al-Bilad wa Akhbar al-'Ibad [Traces of the Lands and Reports of the People]. Beirut: Dar Sader.
- Al-Qushayri, Abu al-Hasan Muslim ibn al-Hajjaj ibn Muslim. (n.d.). Al-Jami' al-Sahih al-Musamma Sahih Muslim [The Authentic Collection Known as Sahih Muslim] (Edition 1853). Beirut: Dar al-Jeel & Dar al-Afaq al-Jadid.
- Al-Qalqashandi, Abu al-Abbas Ahmad ibn Ali ibn Ahmad. (1987). Subh al-A'sha fi Sina'at al-Insha' [The Dawn of the Night in the Art of Composition] (Vol. 1, edited by Yusuf Ali al-Tawil). Damascus: Dar al-Fikr.
- Al-Marrakushi, Muhy al-Din Muhammad ibn Abd al-Wahid ibn Ali al-Tamimi. (2006). Al-Mu'jib fi Talkhis Akhbar al-Maghrib min Liddun Fath al-Andalus ila Akhir 'Asr al-Muwahhidin [The Admirable Summary of the History of Morocco from the Conquest of Andalusia to the End of the Almohad Era] (Vol. 1, edited by Salah al-Din al-Huwari). Beirut: Al-Maktaba al-'Asriya.
- Al-Maqrizi, Abu al-Abbas Shihab al-Din Ahmad ibn Muhammad al-Tilimsani. (1997). Nafh al-Tib min Ghusn al-Andalus al-Ratib wa Dhikr Wazirha Lisan al-Din ibn al-Khatib [Perfumed Breath from the Branch of Flourishing Andalusia and the Account of its Minister Lisan al-Din ibn al-Khatib] (Vol. 1, edited by Ihsan Abbas). Beirut: Dar Sader.
- Al-Munjam, Ishaq ibn al-Husayn. (1987). Aqmam al-Marjan fi Dhikr al-Madain al-Mashhura fi Kull Makan [Pearl Crowns in the Mention of Famous Cities Everywhere] (Vol. 1). Beirut: Alam al-Kutub.
- Al-Mannuni, Muhammad. (2000). Waraqat 'an Hadarat al-Marinin [Papers on the Civilization of the Marinids] (Vol. 3). Casablanca: Al-Najah al-Jadida Press.
- Al-Yafi'i, Abu Muhammad Afif al-Din Abdullah ibn As'ad ibn Ali. (1997). Mir'at al-Jinan wa 'Ibrah al-Yaqzan fi Ma'rifat ma Yu'tabar min Hawadith al-Zaman [Mirror of the Gardens and Lessons of the Vigilant in Knowing Significant Events of Time] (Vol. 1, notes by Khalil Mansur). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiya.
- Al-Ya'qubi, Ahmad ibn Ishaq ibn Ja'far ibn Wahb ibn Wadhih. (2001). Al-Buldan [Countries] (Vol. 1). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiya.
- Harakat, Ibrahim. (2000). Al-Maghrib 'Abra al-Tarikh [Morocco Through History]. Dar al-Rashad: Dar al-Rashad.

- ‘Anan, Muhammad Abdullah. (1990). Dawlat al-Islam fi al-Andalus, al-‘Asr al-Thalith: ‘Asr al-Murabitin wa al-Muwahhidin fi al-Maghrib wa al-Andalus [The State of Islam in Andalusia, Third Era: Almoravid and Almohad Periods in Morocco and Andalusia] (Vol. 2). Cairo: Al-Khanji Press.
- ‘Anan, Muhammad Abdallah. (1990). Dawlat al-Islam fi al-Andalus, al-‘Asr al-Thalith: ‘Asr al-Murabitin wa al-Muwahhidin fi al-Maghrib wa al-Andalus, Al-Qism al-Thani: ‘Asr al-Muwahhidin wa Inhiyar al-Andalus al-Kubra [The Islamic State in Andalusia, Third Era: The Almoravid and Almohad Periods in Morocco and Andalusia, Part Two: The Almohad Era and the Collapse of Greater Andalusia] (Vol. 2). Cairo: Al-Khanji Press.
- ‘Awdat, Ahmad. (1989). Tarikh al-Maghrib wa al-Andalus min al-Qarn al-Sadis al-Hijri hatta al-Qarn al-Ashir al-Hijri [History of Morocco and Andalusia from the 6th to the 10th Hijri Century]. Irbid: Dar al-Amal for Publishing and Distribution.
- Lisan al-Din ibn al-Khatib, Muhammad ibn Muhammad ibn Abdallah. (2001). Li Ihata fi Akhbar Granada [Comprehensive Account of the History of Granada] (Vol. 1, explained, edited, and introduced by Yusuf Ali al-Tawil). Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiya.
- Lisan al-Din ibn al-Khatib, Muhammad ibn Muhammad ibn Abdallah. (2002). Mi’yar al-Ikhtiyar fi Dhikr al-Ma‘ahid wa al-Diyar [Criterion of Choice in Mentioning the Institutions and Settlements] (Vol. 1, edited by Muhammad Kamal Shabana). Cairo: Maktabat al-Thaqafa al-Diniya.
- Anonymous. (n.d.). Al-Istibsar fi ‘Aja’ib al-Amsar [Insight into the Wonders of Cities] (commentary by Saad Zaghloul Abd al-Hamid, editor). Baghdad: Dar al-Shu’un al-Thaqafiya.
- Anonymous1. (1979). Al-Hullal al-Mawshiyya fi Dhikr al-Akhbar al-Marrakshiyya [The Embroidered Robes in Mentioning the Marrakesh News] (edited by Suhail Zakar and Abdul Qadir Zamama). Casablanca: Dar al-Rashad al-Haditha.